يوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

وهو الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم؛ لقول رسول الله ﷺ: «**الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام**»(١).

وسئل رسول الله ﷺ عن أكرم الناس؟ فقال: «**يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**»(٢).

وكان يوسف عليه السلام الابن الثاني عشر ليعقوب، فكان أصغرهم سناً، وأجملهم طلعة.

نشأ يوسف عليه السلام في حضن أبيه يعقوب عليه السلام، وكان أبوه يختصه بحب عميق وحنان كبير، ويؤثره على بنيه جميعاً؛ لما يرى فيه من صدق ومميزات لا تتوفر في سائر إخوته.

ولم يستطع يعقوب عليه السلام أن يخفي حبه العميق ليوسف عن إخوته الآخرين، فغاظهم ذلك، وملأ قلوبهم بالحقد على أخيهم والحسد له.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٣٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٣٠٣)، ومسلم في «صحيحه»: (٢٣٧٨).

رؤيا يوسف عليه السلام:

لقد رأى يوسف عليه السلام في المنام كأن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر قد مثلوا في حضرته، وسجدوا له خاضعين، فأسرع إلى أبيه يقص عليه هذه الرؤيا العجيبة، ففرح يعقوب بولده، وعرف ما تشير إليه هذه الرؤيا من النعمة الكبرى لابنه، وهي نعمة العلم والحكمة والإيمان، وأنه سيكون له شأن عند الله وعند الناس، ولكنه خاف عليه من حسد إخوته، فأوصاه أن لا يقصص على إخوته رؤياه حتى لا يثير حقدهم عليه[1].

وإلى ذلك يشير الله عز وجل بقوله: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧﴾ [يوسف: ٤ ـ ٧].

يوسف عليه السلام وإخوته:

رأى أبناء يعقوب من إيثار أبيهم ومحبته ليوسف وأخيه الشقيق بنيامين ما لم يكن لواحد منهم، وهم حسب زعمهم عصبة قوية تقدم من الخير والمنفعة لأبيها أكثر منهما.

فأخذوا يعدون أنفسهم لعمل يشفي صدورهم العليلة، وقلوبهم

---

(١) «تاريخ الأنبياء»، محمد الطيب النجار. (بتصرف).

الحاقدة، فالبعض يرى قتله والتخلص منه، والبعض الآخر يرى إبعاده عن موطنه إلى بلد بعيد لا يستطيع الرجوع منها إلى أهله.

ثم انتهوا أخيراً إلى رأي يتحقق فيه غرضهم وهو إلقاؤه في بئر لا يستطيع الخروج منه، فهو إمّا أن يموت قبل أن ينقذه أحد، وإمّا أن يلتقطه بعض السيَّارة فيأسروه ليبيعوه.

وهنا يجسِّد الله سبحانه وتعالى ما كان يفكر فيه إخوة يوسف فيقول: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يوسف: ٨ ـ ١٠].

ذهبوا إلى أبيهم وراحوا يحتالون لأخذ يوسف معهم، فقالوا له: ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [يوسف: ١١، ١٢]، فأجابهم والدهم بأنه يحزنه أن يبتعد عن يوسف لتعلق قلبه به، ويخاف إذا أمنهم عليه أن يأكله الذئب وهم في غفلة عنه.

فأقسموا لأبيهم بأنه لن يحصل له ما يكره ولئن أكله الذئب وهم جماعة كثيرة يكون في ذلك عار عليهم وخسران مبين.

وهكذا أخذوا يحتالون على أبيهم، ويتوسلون إليه، فوافقهم على ما يريدون وسلم إليهم أخاهم، وزودهم بنصائحه، تاركاً الأمر كله لله وحده يفعل بهم جميعاً ما يشاء.

يوسف عليه السلام في البئر:

أذن يعقوب عليه السلام لأولاده باصطحاب يوسف معهم، وسولت لهم نفوسهم الخبيثة الإقدام على جريمتهم المنكرة، فنفذوا مؤامرتهم ووضعوه على صخرة في قعر البئر حتى لا يستطيع الخروج وحده، وحينئذٍ قذف الله في قلب يوسف بأنه سيخلصه مما هو فيه، وسيأتي يوم يخبر فيه إخوته بما فعلوه به وهم ماثلون أمامه يحتاجون له يعرفهم ولا يعرفونه، فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: ١٥].

رجع إخوة يوسف في المساء يظهرون الحزن ويرفعون أصواتهم بالبكاء، فقالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: ١٧].

ثم أبرزوا لأبيهم قميص يوسف وقد تلوث بالدم، ولكن عند معاينته تبين له كذبهم، وأن هذا الدم ليس من ولده لعدم تمزق القميص، فقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

واستدلَّ يعقوب على كذبهم بصحة القميص، وقال لهم: متى كان هذا الذئب رحيماً، يأكل يوسف ولا يخرق قميصه[1].

يوسف عليه السلام في بيت عزيز مصر:

ساق الله سبحانه وتعالى الفرج إلى يوسف عليه السلام من أيسر

---

(١) «فتح البيان». بتصرف.

طريق، حيث جاءت قافلة تقصد مصر، وأرادت أن تستقي، فأرسلوا أحدهم ليأتي لهم بالماء من البئر، فلمّا أدلى دلوه تعلق به يوسف حتى خرج من البئر.

وتجمعت القافلة لترى هذا الغلام الجميل، ففرحوا به، وقالوا: ﴿يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].

وحينما وصلوا إلى مصر، باعوه بدراهم قليلة للتخلص معه خشية أن يدركهم أحد فينتزعوه منهم، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠﴾ [يوسف: ٢٠].

وكان الذي اشتراه وزير الملك ويسمى العزيز، فأرسله إلى بيته وأوصى امرأته (زليخا) به خيراً، وقال لها: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف: ٢١].

امرأة العزيز تراود يوسف عليه السلام:

مرت الأيام بيوسف عليه السلام وهو في بيت العزيز يعيش في نعمة، وجو آمن مملوء بالرحمة والحنان.

حتى جاء دور الشيطان ونزغاته، فتعرضت له امرأة العزيز، وأخذت تغريه بنفسها، ليبادلها الحب، فعرضت عليه محاسنها ومفاتنها، وتغلق الأبواب، وتخلو إلى يوسف، وتناديه بصوت الفتنة الملحة قائلة: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾.

وفي هذا الوقت العصيب يتجلى إيمان يوسف، فيبدد كل ما صنع الشيطان، ويضيء له طريق النجاة، حيث يرد عليها قائلاً: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣].

أسرع يوسف إلى الباب هرباً يريد الإفلات منها، وأسرعت وراءه فأدركته قبل أن يخرج، وجذبت قميصه من الخلف لتمنعه من الخروج فتمزّق في يدها، واستطاع أن يفلت منها ويصل إلى الباب وهي تعدو وراءه حتى فتح الباب، فكانت المفاجأة المذهلة، حيث وجدا سيدها وزوجها وراء الباب.

حينئذٍ افترت على يوسف بالكذب، واتهمته بأنه كان يريد بها السوء، وقالت على الفور لزوجها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [يوسف: ٢٥].

فكان لابدَّ ليوسف عليه السلام بعد هذا البهتان العظيم أن يدفع الشر عن نفسه، وهو البريء الذي سما بإيمانه إلى أعلى درجات الطهر والعفاف، والوفي الذي عرف واجبه نحو سيده، فحفظ عرضه ولم يدنس شرفه، ومن أجل ذلك دفع التهمة عن نفسه قائلاً: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦]، ودبَّرت الحيلة للإيقاع بي، ومزَّقت قميصي وأنا أفرّ منها.

هنا دهش العزيز لما رآه وتحيَّر في أمره.

هل يصدق يوسف ويكذب امرأته، وهي التي لم يعرف عنها قبل ذلك إلا العفَّة والوفاء، والتي عاشت معه سنوات طويلة وكانت موضع ثقته وتقديره؟

أو يصدق امرأته ويكذب يوسف، وهو الذي لم يجرب عليه خيانة، أو يرَ منه انحرافاً يخدش الطهر والعفاف؟

لقد أراد الله أن يظهر الحق بشهادة شاهد من أهلها كان قد حضر

في صحبة زوجها، وكانت له فراسة صادقة، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يوسف: ٢٦، ٢٧].

فكشف العزيز عن القميص فعرف الحقيقة، واتضحت له براءة يوسف، وهذا بيّنه الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨].

ثم طلب العزيز من زوجته أن تستغفر إلى الله من هذا الذنب العظيم الذي فعلته، والخطيئة التي ارتكبتها قائلاً: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾ [يوسف: ٢٩][1].

مكر النسوة ودهاء امرأة العزيز:

شاع بين نساء المدينة أن ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] وأنها من أجل ذلك في ضلال مبين؛ لأنها قد لوّثت شرفها وشرف زوجها، وعرّضت كرامتها وكرامته للدمار.

وصل إلى سمع امرأة العزيز اغتياب هؤلاء النسوة لها وسوء كلامهن، فقررت أن تريهن يوسف ليلتمسن العذر لها من شغفها به، فاستضافتهن يوماً، وهيّأت لهن مكاناً يجلسن فيه.

وبعد أن استقرّ المقام بالمدعوّات، أمرت جواريها بإعداد الطعام، وأحضرت إليهن من الفواكه ما يحتاج إلى القطع بالسكين، وأعطت لكل واحدة منهن سكيناً لتقطيع تلك الفواكه.

---

(١) «البداية والنهاية»، ابن كثير. (بتصرف).

ثم قالت ليوسف: اخرج عليهن، فخرج يوسف ومرَّ عليهن، فاهتزت نفوسهن إكباراً لما رأين في يوسف من جمال رائع، وزاغت أبصارهن، فغفلت عما يمسكنه من السكاكين، فقطعن أيديهن بدلاً من تقطيع الفواكه، دون وعي أو شعور، وقُلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: ٣١].

وهنا تعترف امرأة العزيز بما وقع منها وقالت: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: ٣٢].

وفي هذا الوقت المشتعل بالفتنة لجأ يوسف عليه السلام إلى الله مستعيناً بقوته، راجياً منه وحده العون على التخلُّص مما يحيط به، فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

فاستجاب الله عز وجل له فصرف عنه المعصية إنه هو السميع البصير[(١)].

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف: ٣٤].

يوسف عليه السلام في السجن:

انتشر خبر امرأة العزيز مع يوسف في أرجاء المدينة، رأى العزيز أنه لا يخلصهم من العار ولا يكف ألسنة السوء عنهم إلا زج يوسف في

---

(١) «تفسير المراغي»، أحمد المراغي، «تفسير القاسمي»، القاسمي. (بتصرف).

السجن لإلصاق التهمة به، وهو البريء الذي لم يقترف ذنباً، ولم يرتكب خطيئة.

ولقد كان هذا السجن ابتلاءً جديداً ليوسف، تذوَّق فيه جمال الصبر، فازدادت روحه صفاءً وسموًّا بعيداً عن غدر الناس وخيانتهم ومكرهم، وازداد إلى الله قرباً.

يوسف يدعو الله في السجن:

دخل يوسف عليه السلام السجن وكان معه في السجن فتيان، أحدهما كان رئيس السقائين لدى الملك واسمه (نبو)، وكان الآخر رئيس الخبازين واسمه (ملحب)، وقد عرفا أن يوسف شاب كريم عفيف، وأنّه عنده علم عظيم، فكان موضع سرّهما واطمئنا إليه، وكان كلاهما قد رأى في نومه رؤيا.

فقد رأى رئيس السقائين في المنام أنه يعصر العنب في كأس سيده، وسيده يشرب من هذا العصير.

ورأى رئيس الخبازين أنه يحمل فوق رأسه خبزاً، وأن الطير تأكل من هذا الذي يحمله.

طلب هذان الفتيان من يوسف تفسير هذين الحلمين، وذلك بعد أن لمسا فيه العلم بتفسير الرؤى، وما اتصف به من التُّقى والإحسان، هنا اغتنم يوسف عليه السلام فرصة إعجاب السجناء به واحترامهم له، فأخذ يدعوهم إلى دين الله الواحد مبيناً بطلان الإشراك بالله، وأخذ يقول لهما: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا

أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٣٩، ٤٠].

ثم أجابهم بما ألهمه الله، مبشراً أولهما وهو الساقي بأنه سيعود إلى قصر الملك، ويتولى رئاسة السقائين كما كان، وأما الآخر وهو الخباز فإنه سيحكم عليه الملك بالقتل، وسيصلب، وتأتي الطير لتأكل من رأسه.

قال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: ٤١].

وحينما بشر يوسف رئيس السقائين بما ينتظر ورجوعه إلى قصر الملك تحققت البشرى، فصدر الأمر بإطلاقه من السجن، ورجوعه إلى عمله في قصر الملك، قال له يوسف: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢][1].

رؤيا الملك:

بعد تلك السنين التي قضاها يوسف في السجن، أراد الله سبحانه وتعالى الفرج ليوسف وأن يخرجه من السجن.

فقد رأى الملك وهو (الريان بن الوليد) الذي كان العزيز وزيراً له، رأى في منامه سبع بقرات سمان قد طلعت من النهر، وأخذت ترتفع في روضة إلى جواره، ثم رأى سبع بقرات أخرى هزيلة، قد خرجت

---

(١) «قصص الأنبياء»، عبدالوهاب النجار. (بتصرف).

من النهر وأكلت البقرات السمينة، ورأى أيضاً سبع سنابل خضراء حسنة طالعة في ساق واحد، قد ظهرت بعدها سبع سنابل يابسة أخذت تلتهمها حتى أتت عليها.

فلمَّا أصبح الملك دعا مَن في مملكته مِن العلماء والمفكرين، وطلب منهم تأويل هذه الرؤيا، فأجابوه قائلين: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف: ٤٤].

خروج يوسف عليه السلام من السجن:

في الوقت الذي ضاق فيه صدر الملك بمن حوله، تذكَّر رئيس السقائين يوسف وتذكَّر رؤياه التي أوَّلها له، وتذكَّر قول يوسف له وهو خارج من السجن: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾.

فأخبر الملك بهذا الواقع الذي رآه، وحدَّثه عن يوسف حديث الإعجاب، وبيَّن له أنه لا يستطيع أحد من تأويل هذه الرؤيا إلا يوسف عليه السلام وحده.

اشتدَّ فرح الملك، وأرسل هذا الساقي إلى السجن ليلتقي بيوسف ويقص عليه رؤيا الملك قائلاً: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [يوسف: ٤٦].

فأجابه يوسف عليه السلام بما علَّمه الله، وبيَّن له أن مصر سوف تمر بفترتين إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة.

فأمَّا الفترة المخصبة فتستمر سبع سنوات متوالية، وفيها تجود الأرض بأطيب الغلات وأوفر الثمرات.

وأمَّا الفترة الثانية فتأتي بعدها وتستمر سبع سنوات متوالية كذلك، وفيه تجدب الأرض لقلة الماء، فتشح الأقوات، ويُهدد الناس بالموت والفناء، ثم يعود الخير والرخاء بعد هذا البلاء.

ثمَّ طلب إليه أن يبلغ الملك ما يجب أن يقوموا به في مواجهة هذا البلاء، وهو أن يدَّخروا من أيام الرخاء لأيام الشقاء، وأن يخزنوا القمح في سنابله حرصاً على بقائه وصلاحه، حتى إذا جاءت سنوات الجدب وجدوا في مخازنهم ما يغنيهم ويسد حاجتهم إلى أن يعود الخصب من جديد.

نقل رئيس السقاة تفسير الرؤيا إلى الملك، فأعجب بهذا التأويل، وطلب أن يحضروا إليه يوسف ليراه، وقال ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: ٥٤]، ولكن يوسف أبىٰ أن يخرج من السجن دون أن يبرأ نفسه مما أصابها من البهتان الكاذب الذي أدَّى إلى دخوله السجن ظلماً.

لمَّا علم الملك بذلك أسرع بإعادة التحقيق من جديد، وسمع كل النسوة اللاتي قطَّعن أيديهن، وما قالته امرأة العزيز أمامهن، وكيف اعترفت بكيدها ليوسف، فقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١] واعترفت امرأة العزيز بذنبه، وقالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [يوسف: ٥١ ـ ٥٣].

لمَّا ظهر الحق أحب الملك يوسف وقرَّبه إليه، وطلب منه أن يختار المنصب الذي يريده ويتمناه.

فاختار يوسف بإلهام من الله أن يكون أميناً على بيت المال.

ووافق الملك على تعيينه فرحاً به، مطمئناً إلى ما ينتظر من الخير للبلاد على يديه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۖ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف: ٥٤ ـ ٥٦].

ثم إنّ الملك الريان بن الوليد زوّج يوسف زليخا امرأة سيّده، فلمّا دخل بها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟

فقالت: أيها الصدِّيق لا تلمني، فإني كنتُ امرأة حسناء جميلة، في ملك ودنيا، وكان زوجي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك، فغلبتني نفسي وشهوتي. ووجدها بكراً، فولدت له ولدين، هما: إفرائيم، ومنشا، رضي الله عنها[١].

يوسف عليه السلام وزيراً على خزائن مصر:

وافق الملك على تولية يوسف خزائن مصر وبيت المال، فجعل له السلطة على جميع أرض مصر وخيراتها، وألبسه خاتمه، وألبسه الحرير، وطوّقه الذهب، وكان يوسف حينئذٍ في الثلاثين من عمره، واستوثق ليوسف مُلْكُ مصر، وعمل فيهم بالعدل؛ فأحبه الناس[٢].

---

(١) «الكامل في التاريخ»، ابن الأثير. (بتصرف).
(٢) «البداية والنهاية»، ابن كثير. (بتصرف).

إخوة يوسف في مصر:

مرَّت السبع سنوات المخصبة، وأعدَّ يوسف عدَّته فيها واتخذ الخزائن، وخزن الغلات، ثم جاءت السبع المجدبة، واشتد الجدب والجوع في جميع أنحاء الأرض، وصلت الأخبار في أنحاء البلاد أن خزائن مصر تمتلئ من الخيرات.

وقد أصاب يعقوب وأولاده ما أصاب غيرهم من ضيق شديد في العيش، وسمع بوجود الخير والرزق في مصر.

فأرسل يعقوب عليه السلام أولاده جميعاً عدا بنيامين ـ وهو الشقيق الوحيد ليوسف ـ وطلب منهم أن يتجهوا إلى مصر ومعهم الدواب اللازمة لحمل ما يحتاجون إليه من الطعام، وأعطاهم الثمن الذي يشترون به حوائجهم.

فقدموا إلى مصر، ودخلوا على أخيهم يوسف في قصره، فعرفهم بملامحهم وكلامهم، أما هم فلم يعرفوه.

أنزل يوسف إخوته ضيوفاً عليه، ثم استدرجهم في الحديث ليعرف كل شيء عن أحوالهم، فذكروا له أنهم أبناء يعقوب نبي الله، وأن لهم أخوين من أم أخرى، قد ضاع أحدهما، وبقي الآخر عند أبيه لا يفارقه.

فطالبهم بإحضار هذا الأخ الذي تركوه، وأخبرهم أنه يريد بذلك أن يتأكد من صدق قولهم.

وأراد يوسف أن يستوثق من رجوعهم إليه، فأعطاهم ما يحتاجون من القمح والشعير، وكال لهم كيلاً زائداً عن حقّهم، وأعطاهم زاداً

للطريق، وأخذ منهم الثمن، ثم أمر برد هذا الثمن إليهم دون أن يعلموا بذلك، فوضع هذا المال سرًّا في أوعيتهم، حتى إذا رجعوا إلى بلدهم وفتحوا أمتعتهم، وجدوا أن ثمن بضاعتهم قد رد إليهم، صمموا على الرجوع إليه إثباتاً لأمانتهم وحُسن معاملتهم، وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يوسف: ٥٨ ـ ٦٢].

بين إخوة يوسف وأبيهم:

لمَّا رجع إخوة يوسف إلى أبيهم قصّوا عليه ما جرى لهم مع وزير المال، وما لقوا منه من حفاوة وإكرام، وكيف أنه أنذرهم بمنع الكيل لهم إذا عادوا ثانية إلى مصر ولم يكن معهم أخوهم بنيامين.

فطلبوا من أبيهم أن يسمح لهم بأخذ بنيامين معهم في المرة الثانية، وأخذوا يستعطفونه ويتوسلون إليه ويقسمون الأيمان أن يحفظوا أخاهم ويحيطوه بكل عناية ورعاية.

حينئذٍ تسربت المخاوف إلى نفس أبيهم، وذكرهم بموقفهم من أخيهم يوسف، وقال لهم: ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف: ٦٤].

ولم يجد يعقوب عليه السلام بدًّا من التسليم بما طلبه أبناؤه، ومن أجل ذلك لجأ إلى الله طالباً منه أن يحفظ أخاهم ويرعاه، وأن يتولاه

برحمته حتى لا يصاب فيه كما أصيب من قبل في أخيه، فقال عليه السلام: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [يوسف: ٦٤].

ولمَّا فتحوا أمتعتهم وجدوا بضاعتهم التي حملوها ليشتروا بها قد رُدَّت إليهم، وعثروا عليه بين أمتعتهم، فازداد حرصهم على الرجوع ليثبتوا أمام العزيز حسن نيَّتهم وصدق أمانتهم، وقد صوَّر الله سبحانه وتعالى حال إخوة يوسف مع أبيهم فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾﴾ [يوسف: ٦٥، ٦٦][1].

وصية يعقوب عليه السلام لبنيه:

اشترط يعقوب عليه السلام على أولاده حين أرسل بنيامين معهم أن يعاهدوا الله أن يعيدوه إليه ولا يمنعهم عن رده مانع إلا أن يهلكوا أو يحيط بهم عدو يغلبهم عليه، فاستجابوا له وأقسموا بالله على المحافظة عليه.

هنا اطمأن يعقوب إلى عهد أبنائه ثم جمعهم وطلب منهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد حتى لا يلفتوا الأنظار إليهم وخوفاً عليهم من الإصابة بالحسد، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ

---

(١) «تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).

﴿إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف: ٦٧][1].

يوسف الصدّيق وأخوه بنيامين:

عاد إخوة يوسف إلى مصر مرة أخرى ومعهم أخوهم بنيامين، فاستضافهم، ثم انفرد بأخيه في عزلة عن باقي إخوته فضمه إليه، وغمره بالعطف والحنان، وأخبره بحقيقة أمره التي لا تزال خافية عليهم، وطلب منه أن يكتمها عن إخوته حيث قال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يوسف: ٦٩].

ثم أظهر يوسف رغبته لأخيه في استبقائه عنده كتمهيد لإحضار والديه إلى مصر.

وقد ألهم الله يوسف بحيلة لاستبقاء أخيه إلى جواره، فقد أمر العمال أن يضعوا الإناء الذي يشرب فيه الملك، وكان من ذهب، في رحل أخيه دون أن يشعر أحد بذلك.

فلما انطلقوا من مصر بما يحملون من القمح والشعير التي أعطاها لهم يوسف، نادى المنادي عليهم ليتهمهم بالسرقة والخيانة.

فأقبلوا على هذا المنادي مذهولين، وأعلنوا براءتهم من هذا الاتهام الكاذب.

فقال أعوان يوسف: فماذا يكون جزاء مَن ثبت عليه السرقة منكم؟

فأجابوهم: إن جزاء السارق أن يؤخذ رقيقاً، ويؤخذ عند الملك يحبسه أو يعذبه أو يحكم فيه بما يشاء.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن»، القرطبي. (بتصرف).

حينئذٍ بدأ أعوان يوسف بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء أخيه، ثم انتهوا إلى بنيامين فوجدوا الصواع في وعائه.

هنا خيّم الحزن على إخوته، إذ وقع ما كانوا يخشونه، وتساءلوا فيما بينهم: ماذا سيقولون لأبيهم إذا ما رجعوا إليه دون أخيهم؟

ولقد صور القرآن هذه الحيلة التي صنعها يوسف لاستبقاء أخيه لديه، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: ٧٠ ـ ٧٦].

وابيضت عيناه من الحزن:

لمَّا رأى إخوة يوسف إصرار العزيز على استبقاء أخيهم بنيامين، أخذوا يتوسلون إليه كي يأخذ أحدهم مكانه؛ إشفاقاً على والدهم يعقوب عليه السلام الذي وصَّاهم خيراً بأخيهم، ومن أجل ذلك قالوا في توسل: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يوسف: ٧٨].

ولكن الملك رفض وقال لهم: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا

مَتَـٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَـٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [يوسف: ٧٩].

حينئذٍ قال كبيرهم، وهو (روأبين): ألا تذكرون وصيَّته إليكم، والميثاق الذي أخذه عليكم بالحفاظ على أخيكم؟ ثم أقسم بألا يبرح مصر حتى يتلقى أمراً من أبيه بالرجوع، وقال لإخوته: ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف: ٨١، ٨٢].

ورجع إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه ما حدث.

فقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣].

ثم انصرف يعقوب عن أبنائه، وأسلم نفسه إلى الأسى والحسرة، وضاقت نفسه، ولم يجد ملجأ من الله إلا إليه، فشكا إليه ضعف قوته وقلة حيلته، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٤ـ ٨٧][1].

---

(١) «تفسير روح المعاني»، الألوسي. (بتصرف).

يوسف عليه السلام يتعرف على إخوته:

استجاب أبناء يعقوب إلى رغبة أبيهم في الرجوع إلى مصر في محاولة أخيرة لاسترجاع أخيهم بنيامين.

ولما دخلوا على يوسف قالوا له: يا أيها العزيز، مسَّنا وأهلنا الجوع، وجئنا ببضاعة مزجاة (قليلة)، فأوفِ لنا الكيل وتصدق علينا، إن الله يجزي المتصدقين.

فقال لهم يوسف: هل نسيتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون، إذ فرقتم بينهما من قبل؟

قالوا: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [يوسف: ٩٠].

قال: ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف: ٩٠].

قالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١].

قال لهم يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

قميص يوسف عليه السلام:

اشتاق يوسف إلى لقاء يعقوب عليه السلام، فأمر إخوته أن يذهبوا بقميصه إلى أبيهم، فقال لهم: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف: ٩٣].

والقميص الذي أرسله يوسف عليه السلام إلى أبيه هو قميص جاء به جبريل من الجنة، وألبسه إبراهيم عليه السلام حينما ألقوه في النار، ثم

ورثه إبراهيم لإسحاق، وورثه إسحاق ليعقوب، ثم أخذه من بعدهم يوسف عليه السلام[١].

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى يوسف عليه السلام بأن يلقي القميص على وجه أبيه ليرجع إليه بصره.

وكان الذي حمل القميص يهوذا بن يعقوب، قال ليوسف: أنا الذي حملت إليه قميصك بدم كذب، فأحزنته، فأنا الآن أحمل قميصك لأسرّهُ وليعود إليه بصره.

فلمَّا اقترب إخوة يوسف من أبيهم، ويهوذا يحمل قميص يوسف، قال أبوهم: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾﴾ [يوسف: ٩٤].

ثم جاءوه وألقوا على وجهه القميص فارتدَّ بصيراً.

فقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يوسف: ٩٦][٢].

تحقيق رؤيا يوسف عليه السلام:

أمر يعقوب عليه السلام أولاده بالتجهيز للسفر إلى مصر للقاء يوسف عليه السلام، فتجهزوا وكان عددهم سبعين شخصاً.

ولمَّا علم يوسف بمقدمهم، ذهب ومعه أعيان القوم لاستقبالهم عند حدود مصر.

وصلت أسرة يعقوب إلى مصر، فرأوا يوسف في استقبالهم، فلما

---

(١) هذه الرواية لا تعتمد على سند صحيح من القرآن أو السنة أو السند الصحيح، ولكن ذكرها بعض الرواة.

(٢) «تفسير الماوردي، النكت العيون»، الماوردي. (بتصرف).

دخلوا عليه أشرق وجهه بالسرور، وقام مسرعاً إلى أبويه يحتضنهما، ويضمهما إليه.

ويرفعهما إلى العرش الذي يجلس عليه؛ تكريماً لهما.

فدمعت العيون بُشراً، واهتزَّت القلوب فرحاً، وخرَّ الجميع ليوسف ساجدين سجود شكر وحمد، لا عبادة وتقديس.

وحينما رأى يوسف هذا المشهد من أبويه وإخوته قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وفاة يوسف عليه السلام:

لمَّا حضرت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى بأن يخرج من مصر ويدفن عند آبائه يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام.

ثم مات عليه السلام ووضعوه في تابوت ودفنوه بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام فدفنه عند آبائه في مغارة حبرون بجوار يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام أجمعين[1].

يقول مبارك بن فضالة عن الحسن: ألقي يوسف في الجب وهو ابن سبع عشر سنة، وغاب عن أبيه ثمانين سنة، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة، عليه وعلى نبينا محمد ﷺ أفضل الصلاة والسلام.

* * *

(١) «البداية والنهاية»، ابن كثير.